معلومات البحث
أستلم: 19-08-2016
المراجعة: 17-11-2016
النشر: 01-12-2016

Printed ISSN: 2314-7113

Online ISSN: 5809-2289

منهاج البحث النحوي

قديماً وحديثاً

د. عبدالله عبدالرحمن أسعد السعدي
جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا
الإمارات العربية المتحدة/ العين

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الناطقين، وعلى آله وأصحابه أهل العربية واليقين. إن البحث في سبل تقويم لسان العربية واجب على الإنسان الغيور على دينه وأمته، ذلك أن العربية لم تعد لغة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فحسب، بل غدت تمثل حياة أمة هي خير أمة أخرجت للناس، ويتأكد على العربي المسلم أن ينهض بمسؤولياته لمواجهة التحديات التي تمر بها الأمة تجاه اللسان العربي، وكتاب رب العالمين.

إن هذا البحث يهدف إلى بيان أهمية منهاج المباحث النحوية قديما وحديثا، وكتب النحو كانت تمثل المنهاج للدراسة والتطبيق، وقدم الباحثون حلولا لمشكلة ضعف العربية، فكتبت الأبحاث وعقدت المؤتمرات والندوات للغرض نفسه، ولا بد من تقدير كل جهد مبذول في هذا الميدان بإخلاص ونية صافية من أجل الحفاظ على هذه اللغة الشريفة، ومن الواجب أن ننصف الأجيال السابقة التي نهضت بأمر العربية، فكانت نتائج نهضتهم إقامة منظومة متكاملة من طرائق تدريس العربية وأساليبها ومناهجها بكل أصنافها، وإن المشكلة التي تواجه العربية في عصرنا الحاضر هي المشكلة نفسها التي ظهرت في القرون الأولى من العصر الإسلامي فتصدا لها العلماء من كل الشعوب، حين شعروا بالخطر الداهم على الأمة ولسانها حتى وصلوا إلى هدفهم عن طريق تقعيد القواعد والأسس التي بني عليها النطق العربي. وللأسباب نفسها

يجب أن ينهض أهل العلم بوضع الحلول المناسبة لهذه المشكلة، وهنا يطرح السؤال المحوري المهم، ما السبيل إلى التعرف على أهمية العربية، وما المطلوب للمحافظة على سلامتها؟

وجواب ذلك واضح وهو أن العربية اكتسبت الأهمية من عوامل كثيرة من أهمها كونها لسان القرآن وهو سبب مهم يدعو إلى التمسك بها والمحافظة على سلامتها. وإذا كانت اللغات عامة أداة تواصل فإن العربية قد تجاوزت هذا الهدف المحدود؛ لأنها أضحت جسما ناميا ينبض بالحيوية والحركة لتهذيب الإنسانية، والحياة السعيدة والرشاد في الدنيا و الآخرة، وقال ابن تيمية: (إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم)[1]

ومن هنا يجب التعرف على منهج القدامى لنحيي منهجا كاد أن ينطمس أثره بموجات التحديث والحداثة والتطوير الذي قد ينقلب إلى تدمير، فلا بد من إعادة النظر في كل ما يفد إلينا،

ومهما عمل المحدثون المعاصرون فلا يمكنهم أن يتناسوا فضل سلف الأمة في هذا الميدان، إذ هناك من سبقهم من الأوائل حين رسموا مناهج دقيقة لغور هذا الكنز العظيم، ونهضوا في سبيل تقويم الألسن التي زلت عن فصاحتها وبلاغتها، والعمل على تلقينها للناطقين بغيرها. وجاء هذا البحث لينتظم بعد هذا التقديم من الآتي:

المبحث الأول: رصيد الذاكرة المعجمية.

المبحث الثاني: مناهج كتب النحو

المبحث الثالث: الإبداع في منهاج النحو

الخاتمة: العقبات والمقترحات

[1]- الفتاوى، ابن تيمية: 33/1 اقتضاء الصراط المستقيم: 450/1

المبحث الأول

رصيد الذاكرة المعجمية

إن مركز جمع المعلومات والأفكار والمفردات اللفظية عند الإنسان يجب أن يكون خزينا صالحا شأنه شأن رصيد المال، ولذلك اهتم الأوائل بإيداع الأرصدة المفيدة في المستودع العقلي البشري للمعلومات، ومن أهم الأرصدة الكلامية ما تخزنه الأذهان الصافية من كلام الخالق جل وعلا من القرآن الكريم، فهو استثمار للثروة اللغوية في إثراء فكر الطفل حتى ينمو داخل الإنسان جسم لغوي من رصيد النصوص العربية الأصيلة المتنوعة.

إن التمكن من أي لغة يأتي عن طريق معايشة نصوصها وممارسة تعبيراتها من خلال المواقف الطبيعية والتجارب اليومية. ومرحلة الطفولة هي الوقت الذهبي لنمو اللغة عند الإنسان، وينبغي استثمارها استثمارا جيدا في تعليم اللغة الفصحى وتعلمها، وإذا ضاعت دون اتقانها قراءة وكتابة فمن الصعب تعلمها بعد ذلك. وإذا أنهى التلميذ المرحلتين الابتدائية والإعدادية دون أن يقيم لسانه ضاع عليه أفضل سنوات عمره لتعلم اللغة. ومعنى هذا أن وصول المتعلم إلى مرحلة ما فوق الإعدادية تدخله بصعوبات التعلم.[2] إن التركيز على النشء في مهارة العربية وتنمية الرصيد اللغوي الأصيل تظهر نتائجها في النحو الوظيفي، وفي بناء الجسم اللغوي بصورة متدرجة، بعيدا عن الغريب، مع استحضار روح العصر وأحداث الحياة، حتى تخلق الاقتناع النفسي لدى المتعلم بأهمية اللغة وفاعليتها وحيويتها وجدارتها بالعناية.[3]

المطلب الأول

مهارة النطق الطلاق

[2]- التدريس الفعال: 63

[3]- الحصيلة اللغوية ص 174- 175

من أهم مزايا العربية أنها تحمل مهارة النطق الطليق، ثم الانسياب في التعبير، وهذا مطلب أساسي في حياة الإنسان للتعبير عن داخله، أو تعامله المتنوع في كل الشؤون والأحداث، وكذلك مجابهة الحياة في الجدل والمخاصمة والمقاضاة، وهذه المزية لا تأتى للإنسان من طفولته ونعومة أظفاره فجأة، وإنما تخطو معه على مدارج حياته رويدا رويدا حتى يتشكل معجمه الذهني بالمفردات والجمل، فيسعفه في مقام الحاجة إليه للإفصاح عن إرادته ورغبته، وسبيل ذلك كثرة السماع والقراءة لينهل من معينها، وقديما قيل: (المرء مخبوء تحت طي لسانه فإذا تكلم ظهر) ومن أسباب المهارة في ذلك ما يأتي:

أولا: كثرة القراءة لمجالات الحياة المتنوعة، مع التقطيع المريح للنفس والنظر والجسم بما يتلاءم مع قدرة الإنسان القراءة في موضوع، أو قصة مفيدة، أو قصيدة منضبطة، أو مقال نافع رائع، وكل ذلك بانتقاء المادة المقروءة بمشاورة ذوي الخبرة من الأساتذة المتخصصين. ومن المهم كذلك أن تتكون تلك العادة القرائية، وأن تترسخ حتى تصير جزءا من حياته أو برنامجه الذي يدرج عليه.[4]

ثانيا: يجب أن تجمع القراءة الجانبين: المعرفي، والتذوقي، ومعنى القراءة التذوقية ما يقرأ من النصوص الأدبية عامة والشعرية خاصة، والجانب الذوقي ينعكس على الجانب المعرفي، ويضيف جمالا للتعبير باستظهار طائفة من أقوال الأدباء والشعراء ويوشح الكلام بالمأثور من ما يأتي بالسرور، ويفتح منافذ القول على سعته، وهذا ما سار عليه أساتذة العربية حين يوصون تلاميذهم بالقراءة لهدف صقل المواهب وفتح الملكات، ثم ليرتقوا إلى عرش الخطابة والبيان. ونؤكد دائما أن القرآن الكريم والسنة النبوية عاملان مهمان من عوامل إثراء اللغة، كما ثبت عند أصحاب اللسن وأرباب الكلام في كل عصر ومصر بما ميز ألسنتهم وأقلامهم بالرحيق المتدفق من النبع الصافي بما يشبع العقل ويمتع العاطفة.

[4]- التدريس الفعال: 90 -92

ثالثا: القراءة ميدان فسيح في أماكن متعددة إلا أن الكتب المنهجية في المؤسسات التعليمية يجب أن تكون بمستوى يؤهل الدارسين للإفصاح والتعبير بما تحمله الأصالة والمعاصرة، وليس كافيا أن تحشد في كتب القراءة الموضوعات التراثية الثقيلة، أو الموضوعات التربوية المعاصرة التي تختفي معها روح الأصالة ورصانتها، بل لا بد من ربط الأجيال الحديثة بالتراث الندي الذي يثير الاهتمام والمشاعر.

وشاعت أوهام عند بعض الدارسين مؤداها أن النص القديم عبء على الألسنة والأفهام. ونشأ هذا الوهم بسبب الجفاء والبعد عن النص القديم، وهنا يطرح السؤال الآتي: ألا يمكن مزج الحاضر بالماضي وانصهارهما في بوتقة واحدة؟

وجواب هذا واضح وهو أن الواجب على الدارسين والمدرسين أن يسعوا إلى هذه الغاية بالإخلاص ونية التقرب إلى الله لوصل حاضر الأمة بماضيها، مع الحذر من فصل الماضي عن الحاضر. وأخطأ من ظن أن العربية شأنها شأن سائر اللغات حين تصوروا أن تعليمها لغايات محدودة كأداء امتحان في مستوى معين يجتازه الطالب؛ ذلك لأن العربية تحمل الأصالة والتراث، وهي زاد ثقافي يحصن الدارس من المنزلقات الفكرية والوجدانية مع قطع الطريق أمام الطامعين في إبعادها.

رابعا: تنسيق المسؤولية بين أساتذة كل المواد العلمية في منظومة متكاملة لاكتشاف الطاقات اللغوية الكامنة عند الطلبة واستثمارها، لأن العربية تتنفس بطرق متعددة لتتحرك على ألسنة الجميع حتى يبرز أثر التعليم في القضاء على المشكلات اللغوية. والمأمول من المؤسسات التعليمية والإعلامية أن تكون عامل نشر لسلامة اللغة، وليس عامل نشر لمشكلاتها حتى تهيئ ظروفا صحية للعربية السليمة في كل مجالات الحياة، حتى يكون الناطق بالعربية ماهرا بانسياب الألفاظ على لسانه، ثم تحيا في ذهنه الألفاظ التي تسعفه والتراكيب التي يختارها، ولكن علينا أن نخشى تأثير القوي على الضعيف حين ننزل إلى الواقع المشاهد، لأن الإنسان يمتلك روحا تقوي الوهن المحتمل، وهذا سر بقاء العربية و شريعة الإسلام على الرغم من هجمات الحضارات الأخرى على مجتمعاتنا.

خامسا: التحذير من عادات السخرية والتهكم من الناطقين بالفصحى، بل الواجب على المدرس التحدث بالفصحى مع تشجيع تلاميذه عليها، وليس كما يحصل في بعض الأحيان من التهكم حين يتكلم أحدهم بالكلام المعرب، لأن هذا التهكم يغرس في نفوس التلاميذ الكراهية للعربية والانتقاص من قيمتها.

سادسا: محاكاة النماذج الرائعة من النصوص؛ إذ تخلق احساس الاستحسان والاستهجان، فتميل إلى الحسن وتنفر من السيئ؛ إذ مفتاح الطلاقة كتاب يلهم، وحافظة تعي، وذهن يتصرف في أفانين الكلام، ويخلع عليها من بدائع نثر الكلام وشعره ومن الحكم البديعة، والأمثال السائرة، ومن أقوال السلف والخلف، ما يجعل لأسلوبه وقعا أي وقع، علاوة على ما يتضمنه كلامه من آيات القرآن الكريم ومن أحاديث السنة النبوية.[5]

المبحث الثاني

مناهج كتب النحو

سار الأوائل من علماء العربية على مناهج وطرائق متنوعة في بحوثهم وكتبهم، وذلك بحسب البيئة أو المدينة التي نشأ فيها، وكل واحد منهم انتشر مذهبه بما يدل على اجتهاده وتحمله عناء ومشقة في سبيل سماع النص العربي من منابعه الأصيلة، ومدى التأويل الذي يحتمله ذلك النص ليؤكد ذلك التفنن والتشعب الفكري في خدمة النص العربي، وتفوق بعضهم على بعض أحيانا، قال محمد بن سلام الجمحي: (وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية).[6]

المطلب الأول

القواعد والنصوص

[5]- التدريس الفعال - فتحي محمد ص 101

[6]- المدارس النحوية- د.خديجة الحديثي: 7

إن النسبة الزمنية كان لها اعتبار في المهارات والملكات اللغوية، وكل ما كان الزمن قريبا إلى صدر عهد الرسالة الإسلامية فسيكون أهم وأنفع في أخذ اللغة، وبقدر ما يأخذه النحوي من النصوص يتبلور منهج المقعّد والمقنن، وسيكون اللاحق ملتحقا بخطوات السابق، مع إضافة ما يراه مفيدا؛ لذلك بحث المعاصرون الطرائق القديمة وفضلوا بعضها على بعض، كما رأى د.مهدي المخزومي أن الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته مدرسة لها خصائصها ومميزاتها، فكان بعض العلماء لهم مناهج وطرائق واضحة متكاملة[7]، وكل صاحب مذهب أو مدرسة يحاول أن يقوي اتجاهه بالكلام المسموع من العرب، وهذا يؤكد أن النص العربي هو الأساس لكل قاعدة، أو القاعدة هي نتيجة استنباط ما في النصوص ومهمة الاستنباط لا يقوى عليها إلا من امتلك المهارة والذوق العالي، فكيف نحيل هذه المهمة للمتعلم الناشئ ولذلك ظهر الخلاف النحوي بين العلماء كما هو حال البصريين والكوفيين، ولم يكن الاختلاف لنشوء علمين بل (هو اختلاف في المنهج المعتمد وفي النظرة الخاصة التي فرضتها كل من البيئتين وما أحاط بنحاتها من ظروف اجتماعية أو ثقافية أو لغوية أدت بهم إلى التوسع في قبول لغات لم يعتد بها)[8]

إنّ برامج إرساء القواعد النحوية كانت متنوعة في ضبط اللغة، وضبط التراكيب من أجل الاطمئنان على النطق السليم لأصواتها ومفرداتها بالحركات والسكنات المناسبة، سواءً العربية أم غيرها، وانطلقت مسيرة العربية بجمع اللغة من العرب الأقحاح، وكذلك الراغبون في تعلم العربية من غير العرب قد شمروا عن ساعد الجد، وبذلوا الجهد المتواصل لارتشاف العربية، وكل ذلك بدافع عقيدة التوحيد، إذ أيقنوا أنّ تعلم العربية أساس لكل العلوم، ففيها الجذور للتفريع، وفيها الأخلاق لسالكي طريق الهدى، حتى كان لها الأثر المستمر في حيات المجتمعات.[9]

[7]- المصدر نفسه : 14

[8]- المدارس النحوية د.خديجة الحديثي:24

[9]- المصدر نفسه: 72

أما مجالس العلم فهي المجالس التي كانت مدارس العلوم جميعا، ومن آثارها وجدنا الكتب والمؤلفات بأسماء العلماء، ويملون على تلاميذهم العلوم المتنوعة، فسميت بالمجالس أو الأمالي، ولاسيما ما يعقد في مساجد المدن الرئيسة كمسجد البصرة أو مسجد الكوفة وغيرها، فقد كان المسجد مركزا لكل العلوم، وتنظم حلقات علمية ومنهجية استمر أثرها إلى يومنا هذا، حتى أصبحت هي الأساس الذي قامت عليه الدراسات اللغوية والنحوية وغيرها. ومن أشهر الحلقات العلمية حلقة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، وأعلم الناس بالقرآن وقراءاته، وحلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي التي كان الدارسون فيها يزحم بعضهم بعضا. وحلقة الفقيه الحسن البصري وغيرها.

المطلب الثاني

دستور النحو كتاب سيبويه

العرب أسهموا في وضع مناهج التعليم منذ زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي، ومن أبدعها ما أطلق عليه علم العربية, قال ابن سلام الجمحي: (وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي, فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع النصب والجر والجزم)[10] وسار العلماء على منهج رصين في معرفة أصول اللغة. ومن ذلك منهج الاستماع الذي صنف إلى صنفين في التعليم والتعلم:

أولهما: أصحاب السليقة العربية وأصحاب الملكات الأصيلة. ثانيهما: رواة اللغة وجامعوها ومنظروها.

ومن الصنف الثاني منهج ابن الأنباري الذي اكتسب هذه العلوم واستقاها من السماع عن شيوخ كثيرين كانوا علماء عصره، ومعظمها يرجع إلى الدراسات العربية والقرآنية كاللغة والنحو والتفسير والقراءات وعلوم الحديث ورواية الأخبار والأشعار، وكان دائم التتبع لعلماء هذه العلوم يتنقل بينهم ويسمع منهم ويحفظ ما يروون من لغة وشواهد عن علماء

[10]- المدارس النحوية : 29 - 47 - البيان والتبيين: 1/114-317 طبقات النحويين واللغويين: 66

العربية وعن الأعراب، وكان يحفظ كل ذلك ثم يعود ليدونه في مصنفاته، وعني بعلوم الحديث ولاسيما السند ورجاله فصنف (غريب الحديث) الذي يعد من أضخم المصنفات.

بدأ منهج النحو بصورة لم تكن مألوفة؛ إذ بدأ بحالة علاجية لأمراض النطق الفصيح، ثم نما وكبر هذا العلم على يد إنسان غير عربي، ذلك هوعمرو بن عثمان بن قِنْبَر، أبو بشر، الملقب (سيبويه) الذي أضحى إمام النحاة وحجة العرب، وأول من بسط علم النحو، وصاحب (الكتاب) وهو حجة العربية ودستورها، وذلك في نحو عام أربعين ومائة من الهجرة على الأرجح، وقد قدم البصرة وهو غلام صغير؛ من أرض فارس قدم سيبويه إلى البصرة، حيث مراكز العلم ومنابر العلوم، وقد كان شابا حسنا جميلا نظيفا مفرط الذكاء، إلا أنه كان فيه حبسة في عبارته. ومع حداثة سنه فقد انطلق يصحب أهل الحديث والفقه حيث ميله ومراده، فكان يستملي على حماد بن سلمة في حلقته؛ ليكتب الحديث ويرويه. ومن قصته أنه سأل يوماً حماد بن سلمة فقال له: أحدثك هشام ابن عروة عن أبيه في رجل رعُف في الصلاة – بضم العين – ؟فقال له حماد: أخطأت، إنما هو رعَف – بفتح العين – فانصرف سيبويه إلى الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد، فقال له الخليل: صدق حماد، ومثل حماد يقول هذا، ورعف بضم العين لغة ضعيفة. ثم قال سيبويه: (سأطلب علماً لا تلحنني فيه) فكانت هذه هي البداية.

يقول علي النجدي عن منهج سيبويه: نهج سيبويه في دراسة النحو منهج الفطرة والطبع، يدرس أساليب الكلام في الأمثلة والنصوص؛ ليكشف عن الرأي فيها صحة وخطأ، أو حسنًا وقبحًا، أو كثرة وقلة، لا يكاد يلتزم بتعريف المصطلحات، ولا ترديدها بلفظ واحد، أو يفرع فروعًا، أو يشترط شروطًا، على نحو ما نرى في الكتب التي صنفت في عهد ازدهار النحو.[11] ثم عمد سيبويه إلى إمام العربية وشيخها الخليل بن أحمد الفراهيدي، لينهل ويتعلم منه عن حب وعزيمة وقوة إرادة، فصار يلازمه كالظل، حتى لقد ظهر تأثره الكبير بشيخه هذا على طول صفحات كتابه الوحيد وعرضه

[11]– سيبويه إمام النحاة"،لعلي النجدي ناصف،مطبعة نهضة مصر.– موقع إسلام أون لاين

في روايات عنه واستشهادات بأقواله، فلم يمل سيبويه مجالسة الخليل، ولم يفتر أو يتكاسل عنه، قال ابن النطاح: كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحباً بزائر لا يمل، قال أبو عمر المخزومي – وكان كثير المجالسة للخليل: ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه.

ولم يكتف سيبويه بالسماع من شيخه الخليل بن أحمد في علوم النحو والعربية، بل إنه استزاد من ذلك شأن أقرانه في ذلك الوقت، فتتلمذ أيضا على يد أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب وأبي زيد النحوي وغيرهم.

ولم يسلم سيبويه من المعارضين لمنهجه، فالقصة الزنبورية قد كشفت مدى المعارضة، لما قدم إلى العراق على يحي بن خالد بن برمك، وهو – كما قيل – ابن اثنتين وثلاثين سنة، سأله عن خبره فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي، فقال: لا تفعل؛ فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها، ومؤدب ولد أمير المؤمنين، وكل من في المصر له ومعه، فأبى إلا أن يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره فأمره بالجمع بينهما فوعده بيوم، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد، فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة، فما أجابه عنها بجواب إلا قال: أخطأت يا بصري، فوجم سيبويه، وقال: هذا سوء أدب. ثم وافى الكسائي وقد شق أمره عليه ومعه خلق كثير من العرب. فلما جلس قال له: يا بصري، كيف تقول: خرجت وإذا زيد قائم؟ قال: خرجت وإذا زيد قائم، ويجوز أن تقول: خرجت فإذا زيد قائماً؟ قال: لا.

قال الكسائي: فكيف تقول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزُّنبُور (الدبور) فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب.

فقال الكسائي: لحنت؛ العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، وخطأه الجميع، ودفع سيبويه قوله وأنكره، فقال يحي بن خالد – وكان وزيرًا للرشيد – قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما وهذا موضع مشكل؟ وكان الأمر قد دُبِّر بليل، فقد انتهز الكسائي هذه الفرصة السانحة وقال: هذه العرب ببابك، وقد جمعتهم من كل أوب، ووفدت عليك من

كل صقع، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيحضرون ويسألون، فقال يحيى : قد أنصفت، وأمر بإحضارهم.

دخل الأعراب وكان فيهم أبو فقعس، وأبو دثار، وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما فأتت المؤامرة أُكلها، وتابعوا الكسائي على قوله بإجازة الرفع والنصب، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فانقطع سيبويه واستكان، وانصرف الناس يتحدثون بهذه الهزيمة التي مُني بها إمام البصريين. وقال يحيى بن خالد أو الكسائي للرشيد: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا يرجع خائباً فعلت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس، ولم يعرج على البصرة، وأقام هنالك مدةً إلى أن مات كمدا.

وحول الخلاف الذي حدث في هذه المناظرة، فقد قال أبو الحسين علي بن سليمان الأخفش: الجواب كما قال سيبويه، وهو: (فإذا هو هي) أي فإذا هو مثلها، وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب. فإن قال قائل: فأنت تقول: خرجت فإذا زيد قائم وقائماً فتنصب قائماً، فلمَ لم يجز: فإذا هو إياها؛ لأن (إيا) ضمير للمنصوب، و(هي) ضمير للمرفوع.

والجواب في هذا أن قائماً انتصب على الحال وهو نكرة، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت إليه معرفة، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها، ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء، وخبر الابتداء يكون معرفة نكرة، والحال لا يكون إلا نكرة، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة؟ وهذا موضع الرفع.

ولم يكتف سيبويه في منهجه النحوي لنفسه بل قد ترك منهجه للأجيال تنهل من مؤلفه (الكتاب) ليكون معلما لطريق الدرس النحوي، وقد شهد لهذا الكتاب كثير من العلماء، فقد قال صاعد بن أحمد الجياني الأندلسي: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها: المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني: كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق، والثالث: كتاب سيبويه البصري النحوي؛ فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له

--

وقد كان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد أحد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر؟! تعظيماً له واستصعاباً لما فيه. وقال: (لم يُعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه؛ وذلك أن الكتب المصنّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج مَنْ فَهِمَه إلى غيره) [12]وقال ابن كثير: (وقد صنف سيبويه في النحو كتابا لا يلحق شأوه، وشرحه أئمة النحاة بعده فانغمروا في لجج بحره، واستخرجوا من دره، ولم يبلغوا إلى قعره).[13] وليس هناك أبلغ من قول المازني: من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح. وقال الجاحظ: كتاب لم يكتب الناس في النحو مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال، بل إن العجب أيضا في اسمه ورسمه؛ فقد درج كل العلماء والمؤلفين على أن يضعوا أسماء لمؤلفاتهم ومصنفاتهم، إلا أن سيبويه في كتابه هذا قد شذ عن تلك القاعدة، ولم يضع لكتابه اسمًا، بل لم يضع حتى مقدمة أو خاتمة، فأطلق عليه العلماء اسم (الكتاب) حتى صار لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال: قرأ فلان الكتاب مجردًا من أي وصف، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأت نصف الكتاب ولا يشك في أنه كتاب سيبويه.

بلغ كتاب سيبويه القمة فيما وصلت إليه الدراسات النحوية في أواخر القرن الثاني الهجري بعد أن صنع فيه مؤلفه أعظم ما يصنع عالم لموضوعه، إذ آتاه حقه من التقصي والاستيعاب، ومن الدرس والنقد بعقل مستنير لتحرير المسائل وترتيب الموضوعات، حتى استحق كتابه في النحو والصرف أن يكون (الكتاب) واستحق هو به أن يكون في النحويين الإمام.[14]

قال ابن خلكان: ورأيت في بعض التواريخ أن الجاحظ لما أوصل إلى ابن الزيات كتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره، فقال له ابن الزيات: أوَ ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب؟! فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ، يعني نفسه. وعن الأمانة العلمية فيه فقد حدث أبو عبيدة قال: لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إن سيبويه قد ألف كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل، قال يونس: ومتى سمع سيبويه

---

[12] – http://www.alwarraq.com

[13] – ابن كثير: البداية والنهاية، جـ10، ص 182، 183

14– موقع مكتبة الكتاب العربي

هذا كله من الخليل؟ جيئوني بكتابه، فلما نظر فيه رأى كل ما حكى فقال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني. إن سيبويه يمثل النموذج العملي للمنهج القويم في ضبط العربية، وقصته تمثل حالة الخشية المتوقعة في كل زمن، وتمثل كذلك الحل لمشاكل العربية، وقدر الله تعالى على هذا اللسان العربي أن يمتزج إشكاله وحله في شخص هذا الرجل الأعجمي، ليكون ذلك برهانا على قدرة العربية في التعامل مع أصناف البشر وليس مع أهلها فحسب. وبعد سيبويه انطلقت مسيرة تعليم العربية، وفق نظام رتيب ومنهج سليم من المتون والشروح وحلقات الدرس النحوي وفروع العربية كلها وأسلوب المرسل والمستقبل المباشر اقتداء بتعليم جبريل الأمين لرسول الله سيد المرسلين.

المطلب الثالث

منهج ابن خلدون وابن الأنباري والسيوطي

ابن الأنباري أحد أعلام النحو قد رسم منهجا في النحو اعتبر نهضة في الأساليب المنهجية التي منحت الدرس النحوي تميزا على غيره من العلوم، وأسهم من خلال العربية في وضع الخطط التي تنظم مسار التعليم، فمن إسهامات الدرس النحوي في المنهجية المنتظمة المصطلح النحوي الذي يعد دليلا واضحا على المنهجية التي سلكها النحاة الأوائل، ومن ذلك ما استخدمه أبو بكر الأنباري مثل الجحد للنفي، الدائم لاسم الفاعل، المستقبل للفعل المضارع، وما لم يسم فاعله للفعل المبني للمجهول، والإجراء لمعنى الصرف، والدعاء للنداء، والأداة لحرف المعنى، والاسم المحول للمصدر المؤول، والكناية للضمير، والنسق للعطف، و(لا) التبرئة للنافية للجنس، والمفسر للتمييز، والمترجِم للبدل، والجزاء للشرط، والصلة لحرف الجر، والمحل لظرف المكان، وعتيق كلام العرب للفصيح من كلام العرب، والتعريب للإعراب، وصاحب الفعل للفاعل. وهذا واضح من النظر في كتب أبو بكر الأنباري.

ابن خلدون أدلى بدوله في تصميم المناهج والإرشاد إلى أنجع الأساليب والطرائق للتعليم ولاسيما في تعليم العربية وإتقان نطقها وجريان نطقها بصورة سلسة وانسياب في الكلام، ولهذا يؤكد على أهمية حفظ النصوص؛ لأنّ حصول مَلكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يَرتسم في خياله المنوال الذي نسَجوا عليه تراكيبهم، لينزل منزلة من نشَأ معهم، وخالَط عباراتهم في كلامهم، حتى حصَلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم، ثم يستمر على هذا المنوال في مواطن عديدة، فيقول: (وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويَروم تحصيلها، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولَّدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنزَّل – لكثرة حِفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور – منزلةَ من نشَأ بينهم، ولَقِن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرَّف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحَفِظه من أساليبهم، وترتيب ألفاظهم، فتحصُل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويَزداد بكثرتها رسوخًا وقوة، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهُّم الحسَن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب، ومراعاة التطبيق بينها وبين مُقتضيات الأحوال، والذوق يَشهد بذلك، وهو ينشأ ما بين هذه المِلكة والطبع السليم فيهما, ولم يكن الأمر متوقفا على كيفية النطق بل الوصول إلى جودة القول. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال، تكون جودة المقول المؤلف نظمًا ونثرًا، ومن حصَل على هذه المِلكات، فقد حصل على لغة مُضَر، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها، وهكذا ينبغي أن يكون تعلُّمها، والله يهدي من يشاء.[15]

السيوطي كان له الباع الطويل في إرساء قواعد العربية والاستمرار في حمايتها. حفظ القرآن في الثامنة من عمره، وحفظ الكتب العديد ة في مختلف العلوم حتى أصبح علَما يشار إليه بالبنان، والناس تنهل من كتبه الوفيرة. فقد ترك كتبا يجري التعليم فيها بأصناف العلوم، ويمكن التعرف على مناهجه التعليمية من خلال كتبه المنظمة بأبواب وفصول للموضوعات.

15– ابن خلدون، عبدالرحمن – المقدمة– القاهرة – دار الفجر– 2004ابن خلدون: 716 – www.alukah.net718

هذه ومضات لبعض المناهج القديمة للعلماء لأن طبيعة هذا البحث لا تسمح بالتفصيل والإطالة، بل هي إشارات لما كتب وما يمكن أن يكتب عن مناهج النحويين.[16]

المبحث الثالث

الإبداع في منهاج النحو

عوامل عديدة دفعت العلماء إلى التفكير في إيجاد مناهج فعالة تحفظ لسان القرآن الكريم وتحميه من لوثة العجمة، فانبرى كل منهم في رسم خطط وطرائق لهذا الغرض، لذلك اهتم الدارسون بذكر مسيرة العلماء ومناهجهم؛ حتى تكون نموذجا عمليا يحتذا، ونقرأ لكثير من العلماء أنهم ينتسبون إلى هذا العلم الشريف، وهم أعلام الأمة وأمجادها من المفسرين والمحدثين والفقهاء ومن كل العلوم والفنون، حتى أصبحت كلمة (النحوي) نسبا يعرف به العالم ويفتخر به، وعلماء النسب النحوي قد بلغ عددهم في القرون الأولى ما يصل إلى سبعة آلاف عالم نحوي، وما أحصاه الحاسب الآلي من المكتبة الشاملة بلغ: 6625 – [17] ولم يكن الأمر متوقفا على الزمن القديم بل نجد نماذج من العلماء المعاصرين قد سلكوا منج القدامى، فوصلوا إلى النبوغ العلمي بمنهجية قديمة.

المطلب الأول

مناهج بعض المعاصرين

16- النمر، شهاب – منهج السيوطي –عالم الكتب القاهرة – 2015م

17- السير:18/ 432 إنباه الرواة:2/ 189 – البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص 134 – مرآة الجنان: 3/ 101

هذا أحد علماء العصر الحديث في المغرب العربي وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المولود في 1306 هـ الموافق 1889م الذي تلقى تعليمه الأوَّل على والده وعمه؛ فحفظ القرآن ودرس المتون في الفقه واللغة، إذ قال- رحمه الله: بدأت حفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بلدنا، على يد أقاربنا من حفاظ القرآن، بإشراف عمي الشيخ محمد المكي الإبراهيمي - رحمه الله — فلما بلغت سبع سنين تولى تربيتي وتعليمي بنفسه، وهو الذي جعل لي منهج نظام مطرد في النوم والأكل والدراسة. وحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن مع استمراري في حفظ القرآن؛ فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته و غريبه. وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك، ومعظم الكافية له، وألفية ابن معطي الجزائري، وألفية الحافظ العراقي في السير والأثر، وأحفظ جمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ورقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب، أحفظ الكثير من شعر أبي عبدالله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن أبي الخصال، وأبي المطرف ابن أبي عميرة، وابن الخطيب. ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول المشارقة، ورسائل بلغائهم، فحفظت صدراً من شعر المتنبي، ثم استوعبته بعد رحلتي إلى المشرق، وصدراً من شعر الطائيين، وحفظت ديوان الحماسة، وحفظت كثيراً من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان. ثم يقول: ولم يزل عمي - رحمه الله - يتدرج بي من كتاب إلى كتاب تلقيناً وحفظاً ومدارسة للمتون والكتب التي حفظتها حتى بلغتُ الحادية عشرة، فبدأ لي في درس ألفية ابن مالك دراسة بحث وتدقيق، وكان قبلها أقرأنِي كتب ابن هشام الصغيرة قراءةَ تفهُّمٍ وبحث، وكان يقرئني مع جماعة الطلاب المنقطعين عنده لطلب العلم على العادة الجارية في وطننا إذ ذاك، ويقرئني على ضوء الشمع، وعلى قنديل الزيت في الظلمة حتى يغلبني النوم. ويشغلني في ساعات النهار بالدروس المرتبة في كتب القواعد وحدي أو مع الطلبة، ويمتحنني ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأت، فإذا طلبت المزيد انتهرنِي، وقال لي: إن ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بدنك من حمل الأثقال، وغادر الجزائر عام 1330 هـ الموافق 1911 ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى

الحجاز، وتابع تعليمه في المدينة، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام 1331 هـ الموافق1913، غادر الحجاز عام 1335 هـ 1916 قاصداً دمشق.

من علماء العصر أيضا الشيخ عبدالغني الدقر المولود في دمشق عام 1335هـ - 1916م في أسرة دمشقية عريقة، بدأ مسيرته العلمية في (الكتّاب) أولاً، ثم انتقل إلى إتقان قراءة القرآن الكريم من المقرئين، وحفظ الكثير من المتون التعليمية في الفقه والنحو، وكان فيها من المبرزين المتفوقين، ثم انتقل إلى حلقات أبيه في الجامع ليتلقى فيها العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وفقه، وحديث، وتفسير وأصول. ثم أقبل على إلتهام هذه العلوم بجد وأضاف إليها كتب اللغة والأدب، فدرس كتاب الكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، وكتب الجاحظ والمزهر في علوم اللغة للسيوطي، ثم عرج على كتب الأدب الحديث فقرأ للمنفلوطي، والزيات.

سئل الشيخ محمد أحيد شيخ النحو في المسجد النبوي الشريف وتلميذ العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) عن المنهجية المثلى في حفظ متن في النحو فقال: (أرى أن يحفظ الطالب الآجرومية، ثم قطر الندى، ثم ألفية ابن مالك) لأن المتون العلمية خلاصة معتصرة من أعمال علمية كبيرة ،وجهود متواصلة في البناء العلميّ؛ لهذا كانت هذه المتون أساساً للتحصيل العلميّ، لايمكن تجاوزه لمن أراد أن يشدو في سلّم الطلب، ويسير على منهاج السالفين في ذلك. وقد راعى مصنفو المتون العلمية فيها الشمول والدقة والإيجاز ليسهل حفظها. وهذا هو المسلك الذي سار عليه أهل العلم في كل زمان ومكان. فالمتون العلميّة والعناية بها حفظاً وشرحاً من أهم أسس التحصيل العلميّ، وقديماً قيل: (من حفظ المتون حاز الفنون) و (من حفظ الأصول ضمن الوصول) و (من لم يتقن الأصول حرم الوصول) ولا يسير هذا البحث باتجاه ذكر المزيد من تراجم العلماء، ولكن المطلوب التعرف على بصيص من تلك التجارب في عصر ومكان كادت اللغة العربية أن تموت فيها لولا أن من الله عليها بهؤلاء وأمثالهم؛ لأنهم بعد أن حفظوا المتون للقواعد النحوية

أصبحوا جندا أشداء فدافعوا عن العربية، وبعد حفظ المتون قد تعلّموا وعلّموا، فهل علماء الأمة كانوا في طرائقهم مخطئين بحق العربية حتى تأتي المناهج الحديثة المستوردة لتصلح ما أفسدته القرون الماضية؟

الأمة الإسلامية هي أمة الأصالة العتيقة، ومن أصالتها مسايرة الجديد النافع في كيفية الدراسة التي لها موازين ومعايير تضبطها، فلا تغفل عن قديم أو حديث مفيد، بل الحضارة العربية الإسلامية حضارة متكاملة تغرف من كل منبع يسقي غرسها مع المحافظة على جذورها، وتنمي فروع جسمها من كل غذاء مع المحافظة على روحها وثوابتها. ومن ذلك طرائق القدامى بتعليم النشء عن طريق تغذيتهم بغذاء القرآن الكريم والكلام الفصيح حتى يكون لهم وسيلة لمهارة تركيب اللغة العربية حتى ترسخ في أذهانهم الصافية كلمات القرآن وجمالها والجمل القرآنية وفنونها وسلسلة المقاطع وسحرها.

المطلب الثاني

المصطلحات النحوية

جاء في مناهج النحويين مصطلحات تحدد المفاهيم للوظائف النحوية، كما ظهرت في الأزمان المختلفة بعض المؤلفات التعليمية في محاولات واجتهادات لتفضيل مصطلح على مصطلح فأطلق بعضهم على المرفوعات (العمدة) وعلى المجرورات (الوسيط) وعلى المنصوبات (الفضلة) واستعمل بعضهم الآخر (المسند) و(المسند إليه) وإذا تتبعنا الدراسات العلمية التي عالجت قضايا النحو تيسيرًا أو تجديدًا أو إحياءً نجد أنها في واقع الأمر لا تخرج عن كونها نظرات اجتهادية في تفضيل مصطلحات نحوية تراثية على غيرها من المصطلحات التراثية الأخرى أيضًا، وكذلك في إعادة التبويب والتصنيف، وكما وضع النحويون منهجا رصينا لدراسة النحو وقواعده فقد وضعوا أيضا التسميات والمصطلحات لموضوعات النحو والصرف ومنها العلامات الإعرابية والفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والتوابع والظرف وغير ذلك. ولم تؤثر الاختلافات على ثوابت العربية، بل كان هدفهم خدمة اللسان العربي لسان القرآن الكريم.[18]

[18]- المصدرنفسه: 24

وأهم شيء في الوقت الحاضر واقع تعليم اللغة في كل المراحل الدراسية ولاسيما في الجامعات، لأنها مرحلة قد اختلط فيها تعليم مهارات اللغة مع التعليم عن اللغة؛ إذ التعلم عن اللغة يأتي بعد تعلم المهارات وبعد تكوين الملكة اللغوية. ويخطئ من يظن أن المراحل الدراسية المتأخرة يمكن أن تأتي بالمهارات التي لم تهيأ من قبل. ويخطئ من يظن أن تعليم طالب الجامعة تكفيه ساعات معلومة تعوضه عن ما فاته في المراحل الأولى، ولو أرجعنا دراسة طالب الجامعة إلى الأساسيات، فمن حقنا أن نسأل ونقول: ما ذا فعلت مناهج اللغة العربية خلال اثنتي عشرة سنة من التعليم؟[19]

بعض الباحثين نقد القدماء، وأخضع الظاهرة النحوية للنظريات المستجلبة، والقراءات الخارجية التي تتنافى وطبيعة الدرس النحوي، وحاول الفصل التاريخي بين حاضر الأمة وماضيها في لغتها في منهج تفكيكي بنيوي من خلال مشروع النهضة القائم على إنشاء حضارة على أنقاض حضارة أخرى في حلقة نفي أو سلب النظم الجديدة للنظم القديمة والدخول في تاريخ الإنسانية المزعوم في مراحله الثلاث (الديني، العقلاني، المادي) وفي هذا الإطار قد صدرت مؤلفات عديدة منها:

- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة – محمد أحمد عرفة، ناقش فيه مؤلفه كتاب: إحياء النحو.
- إصلاح النحو العربي دراسة نقدية – عبد الوارث سعيد، وجه مؤلفه النقد إلى النحو العربي.
- القضايا الخاصة بتيسير النحو وتجديده في مصر في القرن العشرين — مصطفى زكي حسن التوني– قصد الباحث دراسة المحاولات التجديدية في النحو العربي.
- محاولات التجديد في النحو: اتجاهات وتفسيرًا ونتائج – يوسف محمود يونس شاهين،

المطلب الثالث

بعض المناهج الحديثة

[19]– التدريس الفعال ص 65

أولا: الاستقرائية: منهج يقوم على عرض الأمثلة، ثم محاورة الطلبة ومناقشتهم فيها، وبعد ذلك يتم استخلاص القاعدة، واستنباط المفهوم النحوي. وتتخذ هذه الطريقة أسلوبين متغايرين في عرض المادة، وهما: طريقة الأمثلة المفرقة، ثم القاعدة، أوطريقة النصوص، ثم الأمثلة والقاعدة، فتنتزع الأمثلة التي يتمثل فيها موضوع الدرس،وفيها مزج للنحو بالأساليب التعبيرية الصحيحة بتوجيه أسئلة تمهيدية من القطعة المختارة، ثم عرض الأمثلة من تركيب المعلم، أومن أفواه الطلاب، ثم استنباط القاعدة. ثم التطبيق عقب كل قاعدة تستنبط قبل الانتقال إلى غيرها، ثم التطبيق الكلي يكون بعد الانتهاء من جميع القواعد التي يشملها الدرس، ثم التطبيق الشفهي لتثبيت القواعد المعطاة. ويعرض المعلم جملاً تامة وجملاً ناقصة ليقوم الطلاب بتكميلها. أو تكوين جمل كاملة تطبيقاً على القاعدة المدروسة.

ثانيا: القيايسة: اتبعت في تدريس النحو العربي، وتستند هذه الطريقة على مبدأ الشروع في تعليم الطلبة القاعدة ثم تكليفهم بحفظها، ثم يلي ذلك عرض الأمثلة على السبورة، أو على صحيفة ورقية أمام الطلاب بقصد توضيح القاعدة، أي السير في الدرس من الكل إلى الجزء، وفكرة القياس تقوم على فهم القاعدة العامة، ووضوحها في أذهانهم، ومن ثم يقيس المعلم والطالب الأمثلة الجديدة الغامضة على الأمثلة الواضحة، وتطبيق القاعدة عليها، وهذا هو الحاصل في مدارسنا عندما تتم دراسة الموضوع يطبق عليه ما يرد من أمثلة في التمارين. وتقوم على عرض الأمثلة، ثم محاورة الطلبة فيها، ومناقشتها، ثم إجراء موازنة في النصوص، وبعد ذلك يتم استخلاص القاعدة، واستنباط المفهوم النحوي. وهي طريقة تعمل على تحفيز تفكير الطلبة، والتوصل – من خلالها – إلى الحكم تدريجياً. وتتخذ هذه الطريقة أسلوبين متغايرين في عرض المادة متفقين في الأهداف العامة، وهما:

أولاً: طريقة الأمثلة، ثم القاعدة، ويطلق على هذه الطريقة، وهي طريقة الأمثلة المفردة، أو الأمثلة المفرقة.

ثانياً: طريقة النصوص، ثم الأمثلة والقاعدة، وتقوم هذه الطريقة على عرض قطعة متكاملة المعنى، تؤخذ في العادة من موضوعات القراءة أو النصوص الأدبية، أو من الصحف اليومية، أو حدثاً من الأحداث الجارية، أو من كتب التاريخ،

وفي هذه الطريقة، لابد أن يقوم المعلم بمعالجة القطعة كما يعالج درس القراءة، من حيث الشرح، والتفسير، ثم من خلال القطعة تنتزع الأمثلة التي يتمثل فيها موضوع الدرس، وتدون على السبورة، ويسير المعلم بعد هذا وفق خطوات تدريس النحو بالطريقة الاستقرائية؛ ليشعر الدارس أن اللغة متصلة اتصالاً وثيقاً بالحياة، ثم إنها تقود إلى ترسيخ اللغة وأساليبها؛ لأن فيها مزجاً للنحو بالأساليب التعبيرية الصحيحة. ويأخذون القواعد اللغوية من خلال دروس قراءة النصوص بأن يختار المدرس قطعة أدبية ممتعة بفكرتها وأسلوبها وخيالها ثم يطبق عليها.

هذه الطرائق قد أجهد الباحثون أنفسهم في تطبيقها، وكانت النتيجة: إما العودة إلى الطرائق القديمة، وإما الدمج من هنا وهناك، ثم العودة إلى القديم والأخذ منه، ولكن لم نجد أثرا ملموسا يحسن الدرس اللغوي، بل نجد تدهورا في المستويات الدراسية لدى الناشئة.

الخاتمة

العقبات والمقترحات

المشكلة ليست في ذات اللغة وإنما في كيفية تعلمها، ولاسيما إذا كانت القواعد صنعة تلقن وقوالب صماء يتجرعها الدارس ولا يكاد يسيغها.[20] توهم كثير من الناس أن الأسلوب القديم هو السبب في ضياع اللغة أو ضعفها، والحقيقة الماثلة للعيان تؤكد أن الابتعاد عن القديم والتشبث بطرائق حديثة معدة لغير العربية هي السبب في التخبط والتشرذم، حتى أصبح درس النحو عقدة مستعصية، وسبب الكره لهذا العلم القيم الذي سلكه العلماء فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة في تقويم اللسان العربي. ونادى بعض الباحثين ناهيا عن الحفظ والتلقين وهؤلاء الذين ينؤن وينهون عن المتون هم أنفسم قد وصلوا إلى خير مقام في التحصيل العلمي الذي بدأوا حياتهم به حتى إذاما اشتد ساعدهم عابوا تلك الطرائق، وحين

20- محمد فتحي: 114

تمكنوا من صياغة الكلام هاجموها وهجوها. واتضح أن حفظ المتون يختصر الوقت على الطالب. والذاكرة تقوى بكثرة المحفوظ، ولا تضعف بذلك كما يظنه كثير من الناس ويخطئ من يظن أن ذاكرة الإنسان محدودة بقدر معين لا يستطيع تجاوزه، وبين علماء المخ البشري أن ذاكرة الإنسان غير محدودة، وعليه أن ينمي مهارة الحفظ. وكان الاهتمام عند القدماء منصبا على دراسة الكتب، وليس الانشغال بالمقادير الزمنية، لأن المقدار الزمني يأتي بعد المقدار العلمي، ومعنى ذلك أنه لا يمكن تحديد أوقات التحصيل العلمي بالتساوي بمقدار معين، بل ينظر إلى المادة العلمية وكيفية استيعابها عند المتعلمين، فقد يحتاج موضوع معين إلى ساعة، وفي الوقت نفسه يأتي موضوع آخر لا يحتاج أكثر من أربعين دقيقة.

متن الآجرومية وشروحها العديدة: التحفة السنية، المكودي على المقدمة الأجرومية، الفواكه الجنية على الأجرومية، شرح الأجرومية – ابن عثيمين، ثم قطر الندى وبلَّ الصدى لابن هشام وشروحه وحواشيه، المفصل في النحو للزمخشري، ثم الخلاصة (ألفية ابن مالك) وشروحها ابن عقيل، ابن هشام. خالد الأزهري الأنصاري، ابن طولون. وهذه الكتب وأمثالها تحمل منهجا متكاملا من الأهداف والمخرجات. والمعاصرون شهدوا أن مؤلفات القدامى مناهج لا يمكن إغفالها.

محاولات الباحثين بتيسير دراسة النحو وتسهيله لا ينبغي أن نؤدي إلى توجيه النقد والاتهام للطرائق القديمة بالجمود وعدم مسايرة التطور الزمني، ومن أجل ذلك حصلت اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين دراسة وتقويمًا. ومنها تشجيع الدارسين للتحدُّث باللغة العربية وتصويب الخطأ، مع التذكير بالقواعد أثناء التحدث، ورَبْطها بتقويم اللسان؛ لأن التصويب أثناء التطبيق من أنجع الوسائل التربوية. وكذلك استخدام كتابة النصوص العربية، والتصويب وبيان الأخطاء الإملائية مع الكتابة. وتؤخذ النصوص من الحياة اليومية، والابتعاد عن النصوص الصعبة والمليئة بالألفاظ الغريبة. وتركّز الاختبارات والامتحانات النهائية على قياس تحقُّق أهداف دراسة النحو، وهي إتقان التعبير العربي السليم نطقًا وكتابة، وعدم الاكتفاء باستظهار القواعد، أو إتقان الإعراب، والاندفاع نحو التمرُّس بأساليب التعبير السليم، عن طريق قراءة النصوص وممارسة الكتابة بشكل أكبرَ.

المصادر

1. ابن عطية الأندلسي،عبدالحق- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– دولة قطر 1428م/2007م
2. ابن قيم الجوزية- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر- أعلام الموقعين عن رب العالمين- بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.
3. ابن يعيش الموصلي، موفق الدين أبو البقاء– شرح المفصل للزمخشري– دار الكتب العلمية– بيروت ط1- 1422هـ-2001م
4. أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- مكتبة دار العلوم- بيروت: دار الفكر، 2001.
5. أبوحيان الأندلسي- تفسير البحر المحيط– محمد بن يوسف– دار الكتاب العلمية– بيروت-1422هـ–2001م
6. تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة.سليطي، ظبية سعيد.ط 2002 القاهرة. الدار المصرية اللبنانية.
7. الحديثي، د.خديجة– المدارس النحوية- دار الأمل للنشر – 1422هـ 2001م – الأردن - إربد
8. حديدي، إيناس كمال - المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث- الاسكندرية - دار الوفاء لدنيا الطباعة 2006 ط. 1
9. حسن، عباس - النحو الوافي 1975 ط. 5 – القاهرة - دار المعارف.
10. حمد، علي توفيق-المعجم الوافي في النحو العربي–عمان-دارالثقافية1984
11. الحنبلي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي ط: 744هـ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق- تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني- دار النشر: أضواء السلف– الرياض- الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007 م

12. روَّاي، د. صلاح - النحو العربي - دار غريب 2003م

13. الزلمي، د.مصطفى إبراهيم- المنطق القانوني- مجلة الحكمة- بغداد

14. السيد، د. عبد الرحمن - مدرسة البصرة النحوية - دار المعارف بمصر 1968م

15. شحادة، محمد عبد الوهاب-النحو العربي عرض موجز – القاهرة -1998

16. شذا العرف في فن الصرف – الحملاوي، أحمد (-).. بيروت: المكتبة الثقافي

17. شمس الدين، د.أشرف توفيق- أصول اللغة القضائية- جامعة حلوان

18. الصالح،د.صبحي-دراسات في فقه اللغة دار العلم – ط 12- 1089م بيروت

19. صبحي،إبراهيمدراسات في اللغة والنحووالأدب—عمان دار المناهج- 1997م

20. الطنطاوي، محمد - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - دار المعارف بمصر.

21. الظفيري، د.محمد دهيم - فن الاتصال اللغوي ووسائل تنميته – مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – 1427هـ 2006م العين

22. عبد الله، رمضان- الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر-بستان المعرفة—الإسكندرية- 2006 م

23. عتيق،عبد العزيز- المدخل إلى علم النحو والصرف- بيروت- دار النهضة العربية-1980

24. في إصلاح النحو العربي سعيد، عبد الوارث مبروك- دار القلم - الكويت 1985

25. مخزومي،مهدي-في النحو العربي—القاهرة-مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1986. ط

26. المرادي، حسن بن قاسم— الجنى الداني في حروف المعاني – تحقيق: أ.د.طه محسن— 1975م

27. المزيني، خالد بن سليمان- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة- دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية- ط1427هـ- 2006 م

28. مؤتمر التدريس الفعال – جامعة الإمارات العربية المتحدة —العين – مارس 1998م

29. ناصف د. علي النجدي – تاريخ النحو – دار المعارف بمصر 1978م.

30. ناصف د. علي النجدي – سيبويه إمام النحاة – مطبعة نهضة مصر.

31. النمر ، شهاب – منهج السيوطي –عالم الكتب القاهرة – 2015م

32. ياقوت، أحمد سليمان–ظاهرة الإعراب في النحو العربي1981 ط1– جامعة الرياض.

33. اليعمري– إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين ت799هـ